الشَّهَادَتَانِ وَلِمَاذَا هُمَا أَعْظَمُ الأُصُولِ؟

١. مَاذَا نَتَذَكَّرُ مِنَ الدَّرْسِ الأَوَّلِ؟

تَعَلَّمْنَا أَنَّ المَذَاهِبَ الأَرْبَعَةَ طُرُقٌ لِخِدْمَةِ الدِّينِ وَفَهْمِهِ، وَلَيْسَتْ أَدْيَانًا مُوَازِيَةً، وَأَنَّهَا مُتَّفِقَةٌ عَلَى العَقِيدَةِ وَأَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَعَلَى رَأْسِهَا الشَّهَادَتَانِ.

هَذَا يَعْنِي أَنَّ المُسْلِمَ المَالِكِيَّ أَوِ الحَنَفِيَّ أَوْ غَيْرَهُ يَلْتَقِي مَعَ غَيْرِهِ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ، وَيَخْتَلِفُونَ فَقَطْ فِي تَفَاصِيلِ الفُرُوعِ، لَا فِي أَصْلِ الإِيمَانِ.

٢. مَا هِيَ الشَّهَادَتَانِ وَلِمَاذَا هُمَا أَعْظَمُ الأُصُولِ؟

الشَّهَادَتَانِ هُمَا: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، وَهُمَا بَابُ الدُّخُولِ إِلَى الإِسْلَامِ وَمِفْتَاحُ النَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِلنَّاسِ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ: «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، فَالفَلَاحُ الفَرْدِيُّ وَالجَمَاعِيُّ يَبْدَأُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ.

٣. مَا المَعْنَى الفِقْهِيُّ لِـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ؟

فِقْهًا تَعْنِي أَنْ: **لَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ أَوْ يُطَاعَ طَاعَةً مُطْلَقَةً إِلَّا اللهُ**؛ لَا مَالٌ، وَلَا سُلْطَةٌ، وَلَا شَهْوَةٌ، وَلَا بَشَرٌ.

هِيَ إِعْلَانُ تَحَرُّرٍ مِنْ كُلِّ عُبُودِيَّةٍ لِغَيْرِ اللهِ، فَيَكُونُ المُسْلِمُ فِي السُّوقِ وَالوَظِيفَةِ وَالأُسْرَةِ حُرًّا مِنْ ضَغْطِ الأَهْوَاءِ وَالنَّاسِ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ مُعَلَّقٌ بِرَبِّهِ لَا بِغَيْرِهِ.

٤. مَا البُعْدُ الرُّوحِيُّ وَالعَمَلِيُّ لِـ«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فِي حَيَاتِنَا؟

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» تَعْنِي أَنْ نَأْخُذَ النَّبِيَّ ﷺ قُدْوَةً فِي الإِيمَانِ، وَالعِبَادَةِ، وَالأَخْلَاقِ، وَبِنَاءِ المُجْتَمَعِ، لَا فِي المَسْجِدِ فَقَطْ، بَلْ فِي البَيْتِ وَالعَمَلِ وَالشَّارِعِ.

رُوحُ هَذِهِ الشَّهَادَةِ أَنْ نَعْرِضَ عَادَاتِنَا وَأَعْرَافَنَا عَلَى هَدْيِهِ: مَا وَافَقَ سُنَّتَهُ قَبِلْنَاهُ، وَمَا خَالَفَهَا تَرَكْنَاهُ بِرِفْقٍ وَحِكْمَةٍ، لِنَعِيشَ إِسْلَامًا رَحِيمًا يَجْمَعُ بَيْنَ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ.

٥. مَا شُرُوطُ الانْتِفَاعِ بِـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مِنْ غَيْرِ تَشْدِيدٍ؟

ذَكَرَ العُلَمَاءُ أَنَّ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ شُرُوطًا حَتَّى تُثْمِرَ فِي حَيَاةِ صَاحِبِهَا: أَنْ يَعْرِفَ مَعْنَاهَا، وَيُوقِنَ بِهَا، وَيَقْبَلَهَا، وَيَنْقَادَ لَهَا، وَيُخْلِصَ لِلهِ، وَيَصْدُقَ، وَيُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ.

وَلَيْسَتِ الفِكْرَةُ أَنْ نَحْفَظَ قَائِمَةَ شُرُوطٍ لِنَمْتَحِنَ النَّاسَ، بَلْ أَنْ نُجَاهِدَ أَنْفُسَنَا لِنُحَوِّلَ هَذِهِ المَعَانِيَ إِلَى سُلُوكٍ: عِلْمٌ يَطْرُدُ الجَهْلَ، يَقِينٌ يَطْرُدُ الشَّكَّ، حُبٌّ يَطْرُدُ القَسْوَةَ، وَصِدْقٌ يَطْرُدُ النِّفَاقَ.

٦. كَيْفَ نُكْثِرُ مِنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِرُوحِ الإِحْسَانِ لَا بِمُجَرَّدِ اللِّسَانِ؟

الإِكْثَارُ مِنْ قَوْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ذِكْرٌ يَسْقِي شَجَرَةَ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَحَرَّكُ بِهِ لِسَانُ المُؤْمِنِ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ.

لَكِنَّ الثَّمَرَةَ الحَقِيقِيَّةَ لَيْسَتْ فِي عَدَدِ المَرَّاتِ فَقَطْ، بَلْ فِي أَنْ يُوَافِقَ الذِّكْرُ حَالَ القَلْبِ وَالعَمَلِ؛ فَكُلَّمَا قُلْنَاهَا بِحُضُورِ قَلْبٍ، ازْدَدْنَا تَحَرُّرًا مِنْ عُبُودِيَّةِ الدُّنْيَا، وَاقْتَرَبْنَا مِنْ مَقَامِ الإِحْسَانِ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّنَا نَرَاهُ.

٧. مَا عَلَاقَةُ الشَّهَادَتَيْنِ بِبِنَاءِ الإِنْسَانِ وَالمُجْتَمَعِ؟

الشَّهَادَتَانِ أَسَاسُ بِنَاءِ الإِنْسَانِ المُؤْمِنِ: بِهِمَا يَتَحَدَّدُ اتِّجَاهُ قَلْبِهِ، وَمِنْهُمَا تَنْبَعُ صَلَاتُهُ وَزَكَاتُهُ وَصَوْمُهُ وَحَجُّهُ وَسَائِرُ أَعْمَالِهِ.

وَإِذَا تَحَقَّقَتْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَ«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فِي قُلُوبِ الأَفْرَادِ وَجَمَاعَةِ المُؤْمِنِينَ، صَارَتْ مَصْدَرَ خَلَاصٍ لِلأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ، **تَوْحِيدٌ يُحَرِّرُ، وَإِيمَانٌ يَبْنِي، وَإِحْسَانٌ يُجَمِّلُ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ.**

⬅ END الدَّرْسُ اللَّاحِقُ (3):الوُضُوءُ، الطَّهَارَةُ الخَارِجِيَّةُ